

مؤشرات الإصلاح الإداري في نهج البلاغة

Indicators of Administrative Reform in Nahj Al-Balaghah

أ.م.د. راغدة محمد المصري
كلية الآداب والعلوم الإنسانية - لبنان

Asst. Prof. Dr. Raghda Mohammed Al-Masry
Faculty of Arts and Humanities - Lebanon

ملخص البحث

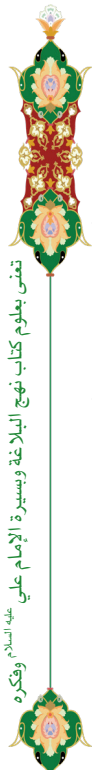
يرسم الإصلاح العلويّ معطيات فكرية أخلاقية ويحدد قوانين إنسانية تشكل مبعثاً للمعرفة، في إطار حركة الفرد والمجتمع عبر قيمها الناظمة للعلاقات الإنسانية في مجال العدالة وتحقيق الأمن الاجتماعي. ويعدّ الإصلاح الركن الأساس في النهج السياسي للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وسياسته الإصلاحية نتاج لعوامل مترابطة ومتراصة، ودوافع داخلية وخارجية وهي عملية تحوّل وتغيّر لما تعانيه الأمة الإسلامية آنذاك، وهي تعنى بمجموعة إجراءات لإزالة الخلل في النظام بطابعها الزماني والمكاني، إلا أنّ المفاهيم الإصلاحية العلوية بقيت خالدة خارج الزمان والمكان لما تحوي من مضامين إنسانية، يأتي هذا البحث كمساهمة لتبيان قيادة الامام علي (عليه السلام) في الإصلاح الإداري، وتبنيه نهجاً ارتبط بشكل وثيق بالاقتصاد الاجتماعي والتنموي. ويطرح إشكالية الرؤية العلوية الإصلاحية في نهج البلاغة عبر قراءة مؤشرات الإصلاح الإداري فيه، لما له من ارتباط وثيق بالاقتصاد الاجتماعي والتنموي، للرفع من فاعلية الإدارة ومردوديتها، التي لا تتوقف عند نوعية العاملين بها وأعدادهم، بل بمدى ترشيد الهياكل الإدارية وعقلنتها، ووسيلة للتسيير والتدبير العمومي الذي تنتهجه الحكومات.

الكلمات المفتاحية: الإصلاح، الإدارة، الولاية، الإمام علي

Abstract

The upper reform clarifies moral and intellectual statements, and identifies human laws that form the basis of knowledge, within the framework of the movement of the individual and society through its organizing values of human relations in the field of justice and social security.

Reform is an essential pillar in the approach of Imam Ali bin Abi Talib (peace be upon him), and his reform policy is the result of intertwined and intertwined factors and internal and external motives, but the Alawite reformist concepts remained immortal because of their moral content. This research comes as a contribution from him in showing the leadership of Imam Ali, peace be upon him, in administrative reform, and his adoption of an approach closely related to social and developmental economics. The problem of the supreme reformist vision is posed in Nahj al-Balagha by reading the indicators of administrative reform in it, due to its close connection with the social and developmental economy, to raise the effectiveness and profitability of the administration that does not depend. About the quality and number of its employees, but rather the extent of rationalization of the administrative structures, the means of public administration and the organization pursued by governments.



ومتراسة، ودوافع داخلية وخارجية وهي عملية تحوّل وتغيّر لما تعانيه الأمة الإسلامية آنذاك، وهي تعنى بمجموعة إجراءات لإزالة الخلل في النظام بطابعها الزماني والمكاني، إلّا أن المفاهيم الإصلاحية العلوية بقيت خالدة خارج الزمان والمكان لما تحوي من مضامين إنسانية.

يأتي هذا البحث كمساهمة لبيان قيادة الإمام علي (عليه السلام) في الإصلاح الإداري، وتبنيه نهجاً ارتبط بشكل وثيق بالاقتصاد الاجتماعي والتنموي. وي طرح إشكالية الرؤية العلوية الإصلاحية في نهج البلاغة عبر قراءة مؤشرات الإصلاح الإداري فيه، لما له من ارتباط وثيق بالاقتصاد الاجتماعي والتنموي، للرفع من فاعلية الإدارة ومردوديتها، التي لا تتوقف عند نوعية العاملين وأعدادهم بها، بل بمدى ترشيد الهياكل الإدارية

تمثل منظومة القيم العلوية الإصلاحية النموذج الأمثل لمعالجة إشكاليات المرحلة التي يعيشها عالمنا الإسلامي - العربي، من جهة مرجعيتها الثابتة المرشدة للحراك والقيم والمثل الإنسانية، لما تتضمن من منتج معرفي، وعقدي حضاري متجذر في الإرث الثقافي الإسلامي، وهي منظومة متكاملة محكمة، حيّة متجددة تبنى نسقا من القيم للأجيال عبر العصور.

يرسم الإصلاح العلوي معطيات فكرية أخلاقية ويحدد قوانين إنسانية تشكل مبعثاً للمعرفة، في إطار حركة الفرد والمجتمع عن طريق قيمها النازمة للعلاقات الإنسانية في مجال العدالة وتحقيق الأمن الاجتماعي. ويعدّ الإصلاح الركن الأساس في النهج السياسي للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وسياسته الإصلاحية نتاج لعوامل عدة مترابطة



وعقلنتها، ووسيلة للتسيير والتدبير العمومي الذي تنهجه الحكومات. فكيف يمكننا توظيفها اليوم؟

مفاهيم ومصطلحات

أجمعت كل المدارس الاقتصادية والإدارية على اختلاف مذاهبها على أنّ الإدارة كفعالية، تتولى قيادة أي نشاط إنساني تخطيطاً وتنظيماً وتنفيذاً وتنسيقاً، وتحتل مكانة مركزية وجوهرية في قيادة عناصره ومكوناته وتفعيلها، وتحديد مساره^(١).

والإدارة هي الجهاز الذي يُسيّر شؤون الدولة والمجتمع، وهي غير السياسة تقع تحت إمرتها، وهي سلطة ضرورية لا يقوم بدونها مجتمع أو دولة، وهي تعكس في محتواها وتركيبها وآلية عملها المعنى الذي تقوم عليه الدولة وتعبر عنه.

تعددت التعاريف حول الإدارة وقيل هي: فنّ قيادة وتوجيه أنشطة جماعة من الناس نحو تحقيق هدف

مشترك^(٢). وهي تنظيم وإدارة الأفراد والمواد لتحقيق الأهداف الحكومية، وهي فن وعلم إدارة الأعمال^(٣). وقيل بأن الإدارة هي عملية اجتماعية مستمرة، تعمل على استغلال الموارد المتاحة استغلالاً أمثل عن طريق التخطيط والقيادة والرقابة للوصول إلى هدف محدد^(٤).

الخلافة ونهج الإصلاح العلوي:

طرح الإمام علي (عليه السلام) نهجه الإصلاحية بشكل علنيّ، وقوبل بالرفض، عند رفضه الخلافة بعد مقتل عمر، حين اجتمع الستة، أصحاب الشورى، الذين عينهم عمر بعد إصابته، وهم: الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان، وشرطوا على الإمام علي (عليه السلام)، مصادرة حريته في الإصلاح والتغيير، تحت عنوان الالتزام بسيرة



السياسية والتنظيمية في إدارة الحكم الإسلامي، وعبر هذه الخطوة والتصدي كان التخلي عن منصب الخلافة في المرة الأولى.

تسلم الإمام علي (عليه السلام) الخلافة بعد مقتل عثمان، وكان يدرك، الصعوبات والعراقيل التي ستواجهه، لذلك لم يقبلها إلا بعد إصرارهم عليه، وقال عن السبب لامتناعه عن قبول الخلافة: «دَعُونِي وَالتَّمِسُوا غَيْرِي، فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْرًا لَهُ وَجُوهٌ وَأَلْوَانٌ، لَا تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ، وَلَا تُثَبِّتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ، وَإِنَّ الْآفَاقَ قَدْ أَغَامَتْ، وَالْمَحَجَّةَ قَدْ تَنَكَّرَتْ. وَاعْلَمُوا أَنِّي إِنِ اجْتَبَيْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ وَلَمْ أَضْغِ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ وَعَثِبَ الْعَاتِبُ»^(٧).

وذكر هذا الأمر أيضاً في كتاب أرسله الى طلحة والزبير: «أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ عَلِمْتُمَا وَإِنْ كَتَمْتُمَا - أَنِّي لَمْ أُرِدِ النَّاسَ حَتَّى أَرَادُونِي - وَلَمْ أَبَايْغُهُمْ

الشيخين، فرفضها الامام علي (عليه السلام) وقبلها عثمان، فقد ذكر الطبري: "أن عبد الرحمن بن عوف التفت إلى علي بن أبي طالب، قائلاً: هل أنت يا علي مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه وفعل أبي بكر وعمر؟ فقال: اللهم لا، ولكن على جهدي من ذلك وطاقتي"^(٥).

وذكر ابن الأثير: "أن عبد الرحمن بن عوف دعا علياً وقال: عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفين من بعده، قال علي: أرجو أن أفعل فاعمل بمبلغ علمي وطاقتي"^(٦). فاتجه ابن عوف لمبايعة عثمان بن عفان الذي قبل بهذا الشرط ولم يتحفظ عليه.

كانت هذه أولى خطوة إصلاحية لمفهوم الخلافة ودورها، التي عن طريقها قام برفض ترسيخ الجيل الأول من المسلمين لتجربتهم



حَتَّى بَايَعُونِي.. إِنَّ الْعَامَّةَ لَمْ تُبَايَعْنِي
لِسُلْطَانٍ غَاصِبٍ، وَلَا لِعَرَضٍ
حَاضِرٍ»^(٨).

خاض الإمام علي (عليه السلام) في عهده ومسيرته الإصلاحية ثلاث حروب، مع من عارض عملية التغيير، والعودة الى الدين المحمدي وإقامة الحكم العادل الرشيد: حرب الجمل وصفين والنهروان، وهي حروب صعبة كانت بهدف القضاء على الفتنة كما قال: «أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنِّي فَقَأْتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ وَلَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِيَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أَنْ مَاجَ غَيْبُهَا وَاشْتَدَّ كَلْبُهَا»^(٩).

الأهداف الإصلاحية في نهج البلاغة

استلم الإمام علي (عليه السلام) الخلافة بعد مقتل عثمان بسبعة أيام، في (٢٥) ذي الحجة عام (٣٥ هـ)، كانت أوضاع الدولة متردية فوضع خطة إصلاحية شاملة، ركز فيها على شؤون الإدارة، والاقتصاد، والحكم.

أعلن الإمام علي (عليه السلام) أهدافه الإصلاحية عند توليه الحكم محددا معالم رؤيته السياسية: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً فِي سُلْطَانٍ وَلَا لِيَتِمَّ شَيْءٌ مِنْ فُضُولِ الْخُطَامِ وَلَكِنْ لِنَرِدَ الْمَعْلَمَ مِنْ دِينِكَ، وَنُظْهِرَ الْإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ، فَيَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ، وَتُقَامَ الْمُعْظَلَّةُ مِنْ حُدُودِكَ»^(١٠).

وأوجز سياسته الإصلاحية في عهده لمالك الأشر حين ولاه مصر سنة ٣٨ هـ ٦٥٨ م، ليقوم بتطبيقها: «جَبَايَةَ خَرَاجِهَا، وَجِهَادَ عَدُوِّهَا، وَاسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا، وَعِمَارَةَ بِلَادِهَا»^(١١).

يتضح لنا عبر ذلك أن نهج السياسة العلوية في الإصلاح يتضمن:

- العودة إلى الدين المحمدي بعد أن أغفل عن تطبيقه.
- تحقيق العدالة الاجتماعية.
- تأمين الرفاه الاقتصادي.



• إعمار البلاد.

• القيام بمهمة الأمن والدفاع.

الإصلاح الإداري في نهج البلاغة:

إن الإدارة هي أداة الدولة الأولى في

تحقيق أهداف الحكم السياسيّة، وهي

وسيلة للسلطة القياديّة، مع اتساع

الدولة وتطورها يتزايد اعتمادها على

الجهاز الإداري الذي يقوم بوظائف

عديدة، فهو ينظم شؤون الدولة

الاقتصاديّة والاجتماعيّة والثقافيّة

ويديرها، وتتضح علاقة الإدارة

بالسياسة أكثر باعتبارها أداة سياسيّة

في مجال الدفاع والاستعداد للحرب،

وقديماً اهتمت الإدارة بتقسيم الجيش

وتنظيمه، ووضع الخطط العسكريّة

للحرب^(١٢).

ظهر التقنين والتنظيم الإداري في

نهج البلاغة بشكل واضح وجليّ،

وكأنموذج على ذلك ما ورد في

الرسالة الموجهة إلى مالك الأشر،

التي تضمنت الإدارة بشكلها

التفصيليّ و طرحها دستوراً للإصلاح،

شملت أموراً أساسيّة عدة في مجال

تنظيم الأعمال والمسؤوليات الإدارية

للإصلاح الإداري عن طريق:

الأمر الأول: تنصيب الولاة الأكفاء.

الأمر الثاني: مؤهلات المستشارين

والموظفين والأعوان.

الأمر الثالث: الرقابة والمحاسبة.

الأمر الأول: تنصيب الولاة الأكفاء

يرتكز نهج الإمام علي (عليه

السلام) الإصلاح على رؤيته

العقائديّة للسلطة، ويقضي هدفه

التربوي عمليّة تغيير وتطبيق لقوانين

صارمة في اختيار الولاة والإداريين

لتكوين جهاز الدولة. فكان من

الضروري اختيار أشخاص مؤهلين

عقائدياً، ويتمتعون في الوقت نفسه

بالعلم والخبرة والمهارة في الإدارة.

عمل الإمام علي (عليه السلام)

منذ توليه السلطة، على عزل الولاة

الفاستدين، واختار ولاة جدد ممن



يتميزون بجانب روحي وفكري وسيرة حميدة، كعثمان بن حنيف ومحمد بن أبي بكر ومالك الأشتر، فكانت تعيينات الإمام، أول خطوة للإصلاح الإداري وحلقة أساسية لمحاربة الفساد، بعد أن عمل من سبقه على توظيف الأقارب أو العشيرة بعيداً عن أي مبدأ استحقاق، كالخبرة والكفاءة، ونهى الإمام علي (عليه السلام) من تنصيب الأقرباء وتفضيلهم على غيرهم من الناس وحرص على عدم التفرقة على أساس عائلي أو عرقي أو طبقي، وإنما أساس التفاضل هو الأداء الجيد والتقوى.

• واجبات الوالي

ورد في نهج البلاغة مجموعة من الواجبات على الوالي القيام بها، وذكر بعض الخصائص التي يجب أن يتحلّى بها ومن أبرزها:

١. العدالة والإنصاف: يعدّ الإمام

علي (عليه السلام) رجل العدالة فقد أعطى دروساً للإنسانية في الرحمة والعدالة والمساواة، فلم يفرق بين الرعية، وقد عمل على تحقيق المساواة بين أفراد الشعب، فلا يجوز التفرقة بين المسلم وغيره، فيقول:

«وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَحْ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ، يَفْرُطُ مِنْهُمْ الزَّلَلُ، وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَلُ وَيُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطَا، فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ وَتَرْضَى أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ. فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ وَوَإِلَى الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ، وَاللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَلَا لَكَ» (١٣).

لم يكفّر الإمام علي (عليه السلام) أهل الشام ويُسْتَدَلُّ على ذلك ما ورد في كتاب أرسله إلى أهل



العلوي في:

- المساواة في الحقوق والواجبات.
- المساواة في العطاء.

٢. الصفات الأخلاقية: يجب أن تتوفر لدى الوالي صفات أخلاقية، ليتمكن من القيام بعمله على أفضل وجه، إذ عن طريقها يستطيع كسب محبة الناس وثقتهم، مما يؤدي الى استتباب الأمن، والتعاون المشترك لإعمار البلاد. وأهم هذه الصفات التي ذكرها في كتابه لمالك الأشتر هي:

- التواضع للرعية: «وَلَا تَقُولَنَّ: إِنِّي مُؤَمَّرٌ أَمْرُ فَأَطَاعُ، فَإِنَّ ذَلِكَ إِذْغَالٌ فِي الْقَلْبِ، وَمَنْهَكَةٌ لِلدِّينِ، وَتَقَرُّبٌ مِنَ الْغَيْرِ. وَإِذَا أَحْدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أَهْبَةً أَوْ مَحِيلَةً فَانْظُرْ إِلَى عَظَمِ مُلْكِ اللَّهِ فَوْقَكَ، وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَى مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُطَامِنُ إِلَيْكَ مِنْ طُمَاحِكَ، وَيَكْفُ عَنْكَ مِنْ غَرَبِكَ، يَفِيءُ إِلَيْكَ

الأمصار: «وَكَانَ بَدْءُ أَمْرِنَا أَنَّا التَّقِينَا وَالْقَوْمُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ رَبَّنَا وَاحِدٌ وَنَبِيَّنَا وَاحِدٌ، وَدَعَوَتَنَا فِي الْإِسْلَامِ وَاحِدَةٌ، لَا نَسْتَزِيدُهُمْ فِي الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالتَّصَدِيقِ بِرَسُولِهِ، وَلَا يَسْتَزِيدُونَنَا»^(١٤).

أوصي الولاية بعدم إفساح المجال أمام خواصهم وبطانتهم، ومنحهم الإقطاعيات وتمليكهم الضياع التي قد تضر بمن يجاروهم من الناس: «إِنَّ لِلْوَالِي خَاصَّةً وَبِطَانَةً فِيهِمْ اسْتِثْنَاءٌ وَتَطَاوُلٌ وَقَلَّةٌ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ فَاحْسِمْ مَادَّةَ أَوْلِيكَ بِقَطْعِ أَسْبَابِ تِلْكَ الْأَحْوَالِ وَلَا تُقْطِعَنَّ لِأَحَدٍ مِنْ حَاشِيَتِكَ وَحَامَتِكَ قَطِيعَةً وَلَا يَطْمَعَنَّ مِنْكَ فِي اعْتِقَادِ عُقْدَةٍ تَضُرُّ بِمَنْ يَلِيهَا مِنَ النَّاسِ فِي شَرْبٍ أَوْ عَمَلٍ مُشْتَرَكٍ يَحْمِلُونَ مَثُونَتَهُ عَلَى غَيْرِهِمْ فَيَكُونُ مَهْنًا ذَلِكَ لَهُمْ دُونَكَ وَعَيْيُهُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»^(١٥).

وتجسدت المساواة في الإصلاح



بِمَا عَزَبَ عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ!». أ. م. د. راغدة محمد المصري

ويشرح في الرسالة كيفية التواصل مع الرعية والتقرب منهم لكسب ثقتهم: «وَاخْفِضْ لِلرَّعِيَّةِ جَنَاحَكَ، وَابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ، وَالْزِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ، وَآسِ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظَرَةِ، وَالْإِشَارَةِ وَالتَّحِيَّةِ، حَتَّى لَا يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ، وَلَا يَيْئَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَذْلِكَ»^(١٦).

- عدم العجب والغرور لدى الوالي وامتلاكه الثقة الكبيرة بنفسه، والابتعاد عن الإطراء والمدح، «وَإِيَّاكَ: وَالْإِعْجَابَ بِنَفْسِكَ، وَالثِّقَةَ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا، وَحُبَّ الْإِطْرَاءِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَوْثَقِ فُرُصِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ لِيَمْحَقَ مَا يَكُونُ مِنْ إِحْسَانِ الْمُحْسِنِينَ»^(١٧).

٣. الاهتمام بمعالجة المشاكل الواردة إليه، الاهتمام بقضايا الرعية وعدم إهمالها، أمر في غاية الأهمية، لأنَّ الناس ستطالبه وتحاكمه على

أفعاله. «وَإِيَّاكَ: وَالْإِسْتِثَارَ بِمَا النَّاسُ فِيهِ أَسْوَةٌ، وَالتَّغَايِيَّ عَمَّا تُعْنَى بِهِ بِمَا قَدْ وَضَحَ لِلْعِيُونِ، فَإِنَّهُ مَا أُخِذَ مِنْكَ لِغَيْرِكَ. وَعَمَّا قَلِيلٍ تَنْكَشِفُ عَنْكَ أَغْطِيَةُ الْأُمُورِ وَيُتَّصَفُ مِنْكَ لِلْمَظْلُومِ»^(١٨).

- عدم التسرع في اتخاذ القرارات حتى يتمكن التحقق من الأمور، وعليه أن لا يكون سريع الغضب. «أَمْلِكْ: حَيَّةَ أَنْفِكَ، وَسُورَةَ حَدِّكَ، وَسَطْوَةَ يَدِكَ، وَغَرْبَ لِسَانِكَ. وَاحْتَرِسْ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ: بِكَفِّ الْبَادِرَةِ وَتَأْخِيرِ السَّطْوَةِ حَتَّى يَسْكُنَ غَضْبُكَ فَتَمْلِكَ الْإِخْتِيَارَ: وَلَنْ تَحْكُمَ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِكَ حَتَّى تُكْثِرَ هُمُومَكَ بِذِكْرِ الْمَعَادِ إِلَى رَبِّكَ... وَإِيَّاكَ: وَالْعَجَلَةَ بِالْأُمُورِ قَبْلَ أَوَانِهَا، أَوْ التَّسَقُّطَ فِيهَا عِنْدَ إِمْكَانِهَا، أَوْ اللَّجَاجَةَ فِيهَا إِذَا تَنَكَّرَتْ أَوْ الْوَهْنَ عَنْهَا إِذَا اسْتَوْضَحَتْ، فَضَعْ كُلَّ أَمْرٍ مَوْضِعَهُ، وَأَوْقِعْ كُلَّ أَمْرٍ مَوْقِعَهُ»^(١٩).



- عدم المنّ بالإحسان فهو يقوم بعمله كما عليه الوفاء بالعهد لبقاء الثقة بينه وبين الناس. «وَإِيَّاكَ: وَالْمَنْ عَلَى رَعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ، أَوْ التَّزْيِيدَ فِيمَا كَانَ مِنْ فِعْلِكَ، أَوْ أَنْ تَعْدَهُمْ فَتُبْعَ مَوْعِدِكَ بِخُلْفِكَ، فَإِنَّ الْمَنْ يُبْطِلُ الْإِحْسَانَ، وَالتَّزْيِيدَ يَذْهَبُ بِنُورِ الْحَقِّ، وَالْخُلْفَ يُوجِبُ الْمَقْتَّ عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾» (٢٠).

الواجبات المشتركة بين الوالي والرعية:

إن الواجبات مشتركة بين الوالي والرعية كل تجاه الآخر، فإذا تعاون الوالي والرعية كل قام بواجبه، اتحد المجتمع وتعاون وتكامل، وانتشر الأمن، وقضي على الفوضى والفساد. «إِنَّ أَفْضَلَ فُرَّةٍ عَيْنِ الْوَلَاةِ: اسْتِقَامَةُ الْعَدْلِ فِي الْبِلَادِ. وَظُهُورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ، وَإِنَّهُ لَا تَظْهَرُ مَوَدَّتُهُمْ

إِلَّا بِسَلَامَةِ صُدُورِهِمْ، وَلَا تَصِحَّ نَصِيحَتُهُمْ إِلَّا بِحَيْطَتِهِمْ عَلَى وِلَاةِ الْأُمُورِ، وَقِلَّةِ اسْتِثْقَالِ دَوْلِهِمْ، وَتَرْكِ اسْتِبْطَاءِ انْقِطَاعِ مُدَّتِهِمْ، فَافْسَحَ فِي أَمَالِهِمْ، وَوَاصِلُ فِي حُسْنِ الشَّاءِ عَلَيْهِمْ، وَتَعْدِيدِ مَا أَبْلَى ذُوو الْبَلَاءِ مِنْهُمْ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الذِّكْرِ لِحُسْنِ أَعْمَالِهِمْ: تَهْزُ الشُّجَاعَ وَتُحَرِّضُ النَّاكِلَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ اعْرِفْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا أَبْلَى، وَلَا تُضْمَنْ بَلَاءُ امْرِئٍ إِلَى غَيْرِهِ، وَلَا تُقْصَرَنَّ بِهِ دُونَ غَايَةِ بَلَائِهِ، وَلَا يَدْعُوَنَّكَ شَرَفُ امْرِئٍ إِلَى أَنْ تُعْظِمَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ صَغِيرًا، وَلَا ضَعْفُ امْرِئٍ إِلَى أَنْ تَسْتَصْغِرَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ عَظِيمًا» (٢١).

ويظهر هذا النص أهم سمات الوالي الصالح التي يمكن تلخيصها بما يلي:

- إقامة العدل.
- التقرب من للرعية ومودتهم.
- زرع ثقة الرعية بالوالي عبر

الإشراف المباشر على أعمالهم، وتشجيعهم والثناء عليهم.

أ- الإحسان والخدمة.

ب- الإيثار.

ج- الدفاع الكامل عن أفراد الشعب وتحريرهم من كل أنواع الأسر والعبودية.

يجب على الجماهير الشعبية أن تحظى بقيمة أكبر عند الوالي من الخواص ويعود ذلك لعدة أمور يمكن تلخيصها بما يلي:

أ- إنَّ الخواص أشخاص مبدرون يصرفون أموالهم الطائلة بشكل عشوائي، بينما عامة الناس يتصفون بالقناعة.

ب- يشارك الخواص في حل المشاكل التي تتعرض لها الدولة بشكل سطحي، أما عامة الناس فتتبري لإعانتها وإغاثتها فتزيد عليهم الضرائب مثلاً، لسد العجز الاقتصادي.

ج- الخاصة لا يتحملون العدل

ويجب على الوالي تبيان السياسة التي يتبعها، وتوضيح الأمور التي قد يشتبه بها بعض الأفراد، يقول (عليه السلام): «وَإِنْ ظَنَنْتَ الرَّعِيَّةَ بِكَ حَيْفًا، فَأَصْحِرْ لَهُمْ بِعُذْرِكَ، وَاعْدِلْ عَنْكَ ظُنُونَهُمْ بِإِصْحَارِكَ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ رِيَاضَةً مِنْكَ لِنَفْسِكَ، وَرِفْقًا بِرَعِيَّتِكَ، وَإِعْذَارًا تَبْلُغُ بِهِ حَاجَتَكَ مِنْ تَقْوِيمِهِمْ عَلَى الْحَقِّ» (٢٢).

يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): «وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ، وَأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ، وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ، فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَى الْخَاصَّةِ، وَإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُعْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ». وهذا بلا شك يشير إلى مبدأ معاصر في إدارة المجتمع، ألا وهو الديمقراطية أو حرية الرأي.

إن العلاقة بين الوالي يجب أن



ويعملون شتى الطرق لعدم تطبيقه، على عكس عامة الناس الذين يطبق عليهم القانون لإثبات هيبة الدولة. د- الخاصة لا يملكون قدرة الصبر والمقاومة في الظروف القاسية، وهي التي اعتاد عليها عامة الناس. - عدم الاحتجاب والاستماع الى الرعية فالحاكم يهتم بأمورهم ومشاكلهم، ويستطيع بذلك رجل الدولة قطع قنوات الاتصال التي تحرف الحقائق والوقائع لمصالحها الشخصية. وفي رسالة بعثها الإمام علي (عليه السلام) الى عامله على مكة قثم بن العباس شدد فيه على هذا الأمر:

«وَلَا يَكُنْ لَكَ إِلَى النَّاسِ سَفِيرٌ إِلَّا لِسَانُكَ وَلَا حَاجِبٌ إِلَّا وَجْهُكَ وَلَا تَحْجُبَنَّ ذَا حَاجَةٍ عَنْ لِقَائِكَ بِهَا فَإِنَّهَا إِنْ زِيدَتْ عَنْ أَبْوَابِكَ فِي أَوَّلِ وَرْدِهَا لَمْ تُحْمَدَ فِيمَا بَعْدَ عَلَى قَضَائِهَا» (٢٣).

يعود السبب الرئيس للاضطراب

والفوضى عدم معرفة الحاكم بالحقيقة، إذ إن أفراد الحاشية المحيطة به تنقل له صورة كاذبة، إذ يزيفون الحقائق. لذلك أكد الإمام علي (عليه السلام) على ضرورة عدم الاستماع إلى هكذا قنوات اتصال، وعليه عدم الاحتجاب عن الرعية لأن ذلك يترك أثراً سلبياً لمن أشار إليه: «فَلَا تُطَوِّلَنَّ احْتِجَابَكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّ احْتِجَابَ الْوُلَاةِ عَنِ الرَّعِيَّةِ، وَقَلَّةُ عِلْمِ بِالْأُمُورِ، وَالْإِحْتِجَابُ مِنْهُمْ يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ مَا احْتَجَبُوا دُونَهُ فَيَصْغُرُ عَنْدهُمُ الْكَبِيرُ، وَيَعْظُمُ الصَّغِيرُ، وَيَقْبُحُ الْحَسَنُ وَيَحْسُنُ الْقَبِيحُ، وَيَشَابُ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ. وَإِنَّمَا الْوَالِي بَشَرٌ: لَا يَعْرِفُ مَا تَوَارَى عَنْهُ النَّاسُ بِهِ مِنَ الْأُمُورِ، وَلَيْسَتْ عَلَى الْحَقِّ سِمَاتٌ تُعْرَفُ بِهَا ضُرُوبُ الصِّدْقِ مِنَ الْكَذِبِ. وَإِنَّمَا أَنْتَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ: إِمَّا أَمْرٌو سَخَتْ نَفْسُكَ بِالْبَذْلِ فِي الْحَقِّ فَنِيمَ احْتِجَابُكَ

مَنْ وَاجِبٌ حَقُّ تُعْطِيهِ، أَوْ فِعْلٌ كَرِيمٌ
تُسْـدِيهِ أَوْ مُبْتَلًى بِالْمَنْعِ، فَمَا أَسْرَعَ
كَفَّ النَّاسِ عَنْ مَسْأَلَتِكَ إِذَا أَيْسُوا
مِنْ بَذَلِكَ! مَعَ أَنَّ أَكْثَرَ حَاجَاتِ
النَّاسِ إِلَيْكَ مِمَّا لَا مَثُونَةَ فِيهِ عَلَيْكَ،
مِنْ شِكَاةٍ مَظْلَمَةٍ، أَوْ طَلَبِ إِنْصَافٍ
فِي مُعَامَلَةٍ» (٢٤).

الإشراف المباشر:

إن القائد المسؤول الذي يقف على
رأس الدولة يجب عليه أن يتولى مهمة
الإشراف المباشر، ومراقبة الأحداث
والأمور السياسية والاجتماعية: من
قضاء وجيش، وموظفين تنفيذيين
وعاملين على تطبيق التشريع، وكذلك
مشاكل الناس، وكل ما يتعلق بمصير
الدولة، والإحاطة التامة بكل ما
يجري من أمور، والعمل على حل
المشاكل المستعصية.

يقول (عليه السلام): «ثُمَّ أُمُورٌ
مِنْ أُمُورِكَ لَا بُدَّ لَكَ مِنْ مُبَاشَرَتِهَا:
مِنْهَا إِجَابَةُ عُمَّالِكَ بِمَا يَعْيًا عَنْهُ

كُتَّابُكَ، وَمِنْهَا إِصْدَارُ حَاجَاتِ
النَّاسِ يَوْمَ وُرُودِهَا عَلَيْكَ بِمَا تَخْرُجُ
بِهِ صُدُورُ أَغْوَانِكَ. وَأَمُضِ لِكُلِّ يَوْمٍ
عَمَلُهُ، فَإِنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ مَا فِيهِ. وَاجْعَلْ
لِنَفْسِكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ أَفْضَلَ
تِلْكَ الْمَوَاقِيتِ وَأَجْزَلَ تِلْكَ الْأَقْسَامِ،
وَإِنْ كَانَتْ كُلُّهَا لِلَّهِ إِذَا صَلَحَتْ فِيهَا
النِّيَّةُ وَسَلِمَتْ مِنْهَا الرَّعِيَّةُ» (٢٥).

وذكر في نهج البلاغة صنفين
من الناس لابد من الاستماع إليهما
مباشرة لحل مشاكلهما هما:

- الصنف الأول: عمال الدولة
وولاتها معرفتهم بالأوضاع السائدة
في البلاد فيطلعون القائد الأعلى
عليها، الذي إذا لم تصله المعلومات
الصحيحة منهم، قد يؤدي الأمر إلى
وجود أزمة في البلاد.

- والصنف الثاني: الذي يجب
الاستماع إليه حاجات الناس
ومطالبهم لكي لا ينقموا على الدولة.
«ثُمَّ أُمُورٌ مِنْ أُمُورِكَ لَا بُدَّ لَكَ



حاجات الشعب، إن عكس ذلك يؤدي إلى نشوء عداوة بين الرعية والحاكم^(٢٨).

«وَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعَى إِلَى حُسْنِ ظَنِّ رَاعٍ بِرِعِيَّتِهِ، مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ وَتَخْفِيفِهِ الْمُتُونَاتِ عَلَيْهِمْ، وَتَرْكِ اسْتِكْرَاهِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى مَا لَيْسَ لَهُ قِبَلُهُمْ. فَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذَلِكَ أَمْرٌ يَجْمَعُ لَكَ بِهِ حُسْنُ الظَّنِّ بِرِعِيَّتِكَ فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ يَقْطَعُ عَنْكَ نَصَباً طَوِيلاً»^(٢٩).

ولا بدّ من توضيح الأمور التي قد يشتبها بها بعض أفراد الرعية، يقول (عليه السلام): «وَإِنْ ظَنَنْتِ الرَّعِيَّةُ بِكَ حَيْفًا، فَأَصْحِرْ لَهُمْ بِعُذْرِكَ، وَاعْدِلْ عَنْكَ ظُنُونَهُمْ بِإِصْحَارِكَ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ رِيَاضَةً مِنْكَ لِنَفْسِكَ، وَرِفْقًا بِرِعِيَّتِكَ، وَإِعْذَارًا تَبْلُغُ بِهِ حَاجَتَكَ مِنْ تَقْوِيمِهِمْ عَلَى الْحَقِّ»^(٣٠).

اختيار الموظف الإداري: وضع الإمام علي (عليه السلام) شروطاً

مِنْ مُبَاشَرَتِهَا: مِنْهَا إِجَابَةُ عَمَلِكَ بِمَا يَعْيًا عَنْهُ كِتَابُكَ، وَمِنْهَا إِصْدَارُ حَاجَاتِ النَّاسِ يَوْمَ وُرُودِهَا عَلَيْكَ بِمَا تَخْرُجُ بِهِ صُدُورُ أَعْوَانِكَ»^(٢٦).

أعطى نهج البلاغة الاهتمام بمبدأ الأخلاق وهو مبدأ تربوي سام، يتمثل بعدم امتهان الحاكم لكرامة وزرائه وأعوانه، والتحاشي عن الازدراء بقيمتهم واحتقارهم وانتقاصهم بملاً من الناس؛ لأن ذلك مدعاة لتهاون الأمة واحتقارها للدولة وموظفيها، يقول (عليه السلام): «ثُمَّ تَفَقَّدُ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُ الْوَالِدَانِ مِنْ وَلَدِهِمَا... وَلَا تَحْقِرَنَّ لُطْفًا تَعَاهَدْتَهُمْ بِهِ وَإِنْ قَلَّ، فَإِنَّهُ دَاعِيَةٌ لَهُمْ إِلَى بَذْلِ النَّصِيحَةِ لَكَ، وَحُسْنِ الظَّنِّ بِكَ»^(٢٧).

إيجاد الثقة المتبادلة بين الحاكم والشعب هي من أركان الحكم الصالح، ولأجل تحقيق هذا الهدف على الحاكم أن يتبع سياسة تلبّي



لاختيار الموظف، منها:

«ثُمَّ انْظُرْ فِي أُمُورِ عَمَّا لِكَ فَاسْتَعْمِلْهُمْ اخْتِبَارًا، وَلَا تُؤَلِّمْ مُحَابَاةً وَأَثَرَةً، فَإِنَّهُمَا جَمَاعٌ مِنْ شُعَبِ الْجُورِ وَالْخِيَانَةِ، وَتَوَخَّ مِنْهُمْ: أَهْلَ التَّجَرِبَةِ وَالْحَيَاءِ، مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ، وَالْقَدَمِ فِي الْإِسْلَامِ الْمُتَقَدِّمَةِ، فَإِنَّهُمْ: أَكْرَمُ أَخْلَاقًا، وَأَصَحُّ أَعْرَاضًا، وَأَقْلُّ فِي الْمَطَامِعِ إِشْرَاقًا، وَأَبْلَغُ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ نَظَرًا»^(٣١).

يجب على الموظف الإداري أن يتميز بجملة من الأمور منها:

- الكفاءة والخبرة: «فَاسْتَعْمِلْهُمْ اخْتِبَارًا»، أي يجب امتحان الموظف قبل تعيينه لمعرفة قدراته وملكاته التي تحوله العمل في ذلك المنصب، لا تصح تولية الموظف «مُحَابَاةً وَأَثَرَةً» وإنما وفق كفاءته المهنية وعلاقاته الاجتماعية.

- السيرة والسمعة الحسنة ركز الإمام علي (عليه السلام) على

الوسط الاجتماعي والعائلي، وذلك يعود لكون البيوت الصالحة العريقة في الإسلام تتصف بالانضباط والاستقامة على الأمر الشرعي، وتربي أبنائها وتنشئوا تنشئة إسلامية صحيحة، ويجب الاطلاع عند اختيار أحد الناس للعمل إذا كان صاحب سيرة حسنة يعرف بها، ومما يمتلكه من صفات يتميز بها، ويركز الإمام علي (عليه السلام) على توظيف أبناء «الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ» لما تركه التربية والتنشئة من أثر في تكوين شخصيته: «وَلَكِنْ اخْتَبِرْهُمْ بِمَا وُلُّوا لِلصَّالِحِينَ قَبْلَكَ: فَاعْمِدْ لِأَحْسَنِهِمْ كَانَ فِي الْعَامَّةِ أَثَرًا، وَأَعْرِفِهِمْ بِالْأَمَانَةِ وَجْهًا، فَإِنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى نَصِيحَتِكَ لِلَّهِ وَلِمَنْ وُلِّيتَ أَمْرُهُ، وَمَهْمَا كَانَ فِي كِتَابِكَ مِنْ عَيْبٍ فَتَغَابَيْتَ عَنْهُ أَلْزَمْتَهُ.....»^(٣٢).

- المستشارون: جاء في نهج البلاغة ذكر أهم النقاط الحساسة بشأن



تعيين المستشارين وهي: نزاهتهم من السوابق السيئة الموروثة من الأنظمة الفاسدة وغير المشروعة، وإلا فهم غير جديرين بالثقة، لأنه لا يمكن استئصال الانحراف والضعف المزروعين في نفوسهم من العهد السابق، كما وضعت حدوداً وأطراً للمشورة لتعطي النتيجة المتوخاة، فلا يجب استشارة:

• البخيل • الجبان • الحريص.

يقول (عليه السلام): «وَلَا تَدْخُلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلًا يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ وَيَعِدُّكَ الْفَقْرَ وَلَا جَبَانًا يُضْعِفُكَ عَنِ الْأُمُورِ وَلَا حَرِيصًا يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَّ بِالْجُورِ فَإِنَّ الْبُخْلَ وَالْجُبْنَ وَالْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ، إِنَّ شَرَّ وَزَرَائِكَ مَنْ كَانَ لِلْأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيْرًا وَمَنْ شَرِكُهُمْ فِي الْأَثَامِ فَلَا يَكُونَنَّ لَكَ بَطَانَةً فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الْأَثَمَةِ وَإِخْوَانُ الظَّلْمَةِ وَأَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ

الْخَلْفِ مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَنَفَادِهِمْ وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ آصَارِهِمْ وَأَوْزَارِهِمْ وَأَثَامِهِمْ مِمَّنْ لَمْ يُعَاوِنْ ظَالِمًا عَلَى ظُلْمِهِ وَلَا آثِمًا عَلَى إِثْمِهِ أُولَئِكَ أَخَفُّ عَلَيْكَ مَثُونَةً وَأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةً وَأَحْنَى عَلَيْكَ عَطْفًا وَأَقْلُّ لِعَيْرِكَ إِلْفًا فَاتَّخِذْ أُولَئِكَ خَاصَّةً لِحُلُوَاتِكَ وَحَفَلَاتِكَ، ثُمَّ لِيَكُنْ أَثَرُهُمْ عِنْدَكَ أَقْوَلُهُمْ بِمُرِّ الْحَقِّ لَكَ وَأَقْلَهُمْ مُسَاعَدَةً فِيمَا يَكُونُ مِنْكَ بِمَا كَرِهَ اللَّهُ لِأَوْلِيَائِهِ وَإِقْعَا ذَلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ وَالصَّقْ بِأَهْلِ الْوَرَعِ وَالصِّدْقِ» (٣٣).

شدّد الإمام علي (عليه السلام) على مسألة المشورة فكل عمل يعتمد على ركنين أساسيين لينجح: «التفكير والمشورة» فالتخطيط السليم هو بحاجة ماسة للاستفادة من آراء الآخرين وخبراتهم، ومن أقوال الامام علي (عليه السلام): «لَا ظَهِيرَ كَالْمُشَاوَرَةِ» (٣٤). «وَالِاسْتِشَارَةُ عَيْنُ الْهَدَايَةِ» (٣٥).

علاجها للقضاء على مظاهر الفساد والأخطاء التي تقع فيها الإدارة. وأبرز هذه المؤشرات:

١. تفضيل الأقارب

نهى الإمام علي (عليه السلام) من تنصيب الأقرباء وتفضيلهم على غيرهم وجعل أساس التفاضل هو الأداء الجيد والتقوى. فقد جاء في

نهج البلاغة: «ثُمَّ إِنَّ لِلْوَالِي خَاصَّةً وَبِطَانَةً، فِيهِمْ اسْتِثْنَاءٌ وَتَطَاوُلٌ وَقَلَّةٌ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ، فَاحْسِمْ مَادَّةَ أَوْلَيْكَ بِقَطْعِ أَسْبَابِ تِلْكَ الْأَحْوَالِ. وَلَا تُقْطِعَنَّ لِأَحَدٍ مِنْ حَاشِيَتِكَ وَحَامَتِكَ قَطِيعَةً، وَلَا يَطْمَعَنَّ مِنْكَ فِي اعْتِقَادِ عُقْدَةٍ، تَضُرُّ بِمَنْ يَلِيهَا مِنَ النَّاسِ، فِي شَرِّ أَوْ عَمَلٍ مُشْتَرَكٍ، يَحْمِلُونَ مَثْوَنَتَهُ عَلَى غَيْرِهِمْ، فَيَكُونُ مَهْنَأُ ذَلِكَ لَهُمْ دُونَكَ، وَعَيْبُهُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَالْزِمِ الْحَقَّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ، وَكُنْ فِي ذَلِكَ صَابِرًا مُحْتَسِبًا وَإِقْعًا ذَلِكَ مِنْ

إِنَّ النَّصِيحَةَ وَبِذَلِكَ الْمَشُورَةُ أَمْرٌ مَطْلُوبٌ مِنْ كُلِّ شَخْصٍ يَمْلِكُ فِكْرًا وَخَبْرَةً تَوْهَلُهُ لَذَلِكَ: «فَعَلَيْكُمْ بِالتَّنَاصُحِ فِي ذَلِكَ، وَحُسْنِ التَّعَاوُنِ عَلَيْهِ، فَلَيْسَ أَحَدٌ -وَإِنْ اشْتَدَّ عَلَى رِضَى اللَّهِ حِرْصُهُ، وَطَالَ فِي الْعَمَلِ اجْتِهَادُهُ- بِبَالِغِ حَقِيقَةِ مَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَهْلُهُ مِنَ الطَّاعَةِ لَهُ.

وَلَكِنْ مِنْ وَاجِبِ حُقُوقِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ النَّصِيحَةُ بِمَبْلَغِ جُهْدِهِمْ، وَالتَّعَاوُنُ عَلَى إِقَامَةِ الْحَقِّ بَيْنَهُمْ. وَلَيْسَ أَمْرٌ -وَإِنْ عَظُمَتْ فِي الْحَقِّ مَنَزِلَتُهُ، وَتَقَدَّمَتْ فِي الدِّينِ فَضِيلَتُهُ- بِفَوْقِ أَنْ يُعَانَ عَلَى مَا حَمَلَهُ اللَّهُ مِنْ حَقِّهِ. وَلَا أَمْرٌ -وَإِنْ صَغُرَتْهُ النَّفُوسُ، وَافْتَحَمَتْهُ الْعُيُونُ- بِدُونِ أَنْ يُعِينَ عَلَى ذَلِكَ أَوْ يُعَانَ عَلَيْهِ» (٣٦).

مؤشرات الفساد الإداري

عرض نهج البلاغة مؤشرات الفساد الإداري الذي يظهر في مؤسسات الدولة، وعمل على



وذلك لمنعهم من اللجوء إلى الرشوة في وضع اقتصادي معين يدفعهم إلى الخيانة فقال (عليه السلام): «ثُمَّ أَسْبَغْ عَلَيْهِمُ الْأَرْزَاقَ، فَإِنَّ ذَلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِصْلَاحِ أَنْفُسِهِمْ، وَغْنَى لَهُمْ عَنِ تَنَاوُلِ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ، وَحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ أَوْ تَلَمَّعُوا أَمَانَتَكَ»^(٣٩).

وفرض عقوبات على كل من يسيء باستغلال عمله، وهي على ثلاثة أنواع:

- العقوبة البدنية.
- مصادرة الأموال المختلصة والتغريم.
- العقوبة المعنوية كالتشهير وغيره.

يقول (عليه السلام): «فَإِنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَى خِيَانَةٍ اجْتَمَعَتْ بِهَا عَلَيْهِ عِنْدَكَ أَخْبَارُ عُيُونِكَ، اكْتَفَيْتَ بِذَلِكَ شَاهِدًا، فَبَسَطْتَ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ فِي بَدَنِهِ، وَأَخَذْتَهُ بِمَا

قَرَابَتِكَ، وَخَاصَّتِكَ حَيْثُ وَقَعَ، وَابْتَغَ عَاقِبَتَهُ بِمَا يَثْقُلُ عَلَيْكَ مِنْهُ فَإِنَّ مَغَبَّةَ ذَلِكَ مُحْمُودَةٌ»^(٣٧).

٢. الفراسة.

أشار نهج البلاغة إلى ظاهرة اجتماعية ساهمت في انتشار الفساد، وهي اعتماد الحكام على الفراسة وحسن الظاهر في اختيار الحكام وولاية الأمر، لذلك وضع أسسًا لاختيارهم، أهمها معرفة ماضي الموظف وسلوكه المثبت عبر التحقيق والخبرة وإخلاصه لله والأمة، يقول (عليه السلام): «ثُمَّ لَا يَكُنْ اخْتِيَارُكَ إِيَّاهُمْ عَلَى فِرَاسَتِكَ وَاسْتِنَامَتِكَ وَحُسْنِ الظَّنِّ مِنْكَ، فَإِنَّ الرَّجَالَ يَتَعَرَّضُونَ لِفِرَاسَاتِ الْوُلَاةِ بِتَصْنُعِهِمْ وَحُسْنِ خِدْمَتِهِمْ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ النَّصِيحَةِ وَالْأَمَانَةِ شَيْءٌ»^(٣٨).

٣. الرشوة.

إمعانا في التصدي للفساد أمر بدفع رواتب كافية للموظفين،



بِالرَّعِيَّةِ»^(٤١).

حتى لا يتحول الفساد إلى ظاهرة تستعصي الحل، وقد عمل (عليه السلام) على مكافحة الفساد الإداري

والمالي والسياسي عن طريق:

• الشفافية والعلانية.

• المساءلة.

• مراقبة مواطن الخلل.

• الإشراف المباشر، ومراقبة الأحداث والأمر السياسية والاجتماعية، والموظفين التنفيذيين، والإحاطة التامة بكل ما يجري من أمور، والعمل على حلّ المشاكل المستعصية. وفهم حاجات الأفراد ورغباتهم، وهذا يؤدي إلى السلوك الصحيح في التعامل وزيادة الإنتاج. إنَّ الحاجة اليوم ملحة لتحقيق

البناء الحضاري الإسلامي، في زمن العنف والتطرف، وانتشار الإلحاد وازدياد الفجوة بين الغرب والعالم الإسلامي، وكثرت الشبهات

أَصَابَ مِنْ عَمَلِهِ، ثُمَّ نَصَبَتْهُ بِمَقَامِ الْمُدَلَّةِ، وَوَسَمَتْهُ بِالْخِيَانَةِ، وَقَلَّدَتْهُ عَارِ التَّهْمَةِ»^(٤٠).

ضرورة التفتيش الإداري والمحاسبة

ورد لفظ (تفقد) في نهج البلاغة

بمعنى الإشراف، فالرقابة أمر

ضروري لاستمرار العمل الإداري،

وهو ما يعرف اليوم بالرقابة

الإدارية، إذ يقوم هذا المبدأ على

أساس المراقبة والمحاسبة على من

يقع منهم أخطاء وتجاوزات.

وقد وضع الإمام علي (عليه

السلام) قانون الرقابة والتفتيش

الإيجابي عبر المنظور الإسلامي

المهادف. إذ أوصى باعتقاد الرقباء من

أهل الصدق والإخلاص والصلاح

يقول (عليه السلام):

«ثُمَّ تَفَقَّدَ أَعْمَالَهُمْ، وَابْعَثَ الْعُيُونَ،

مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ، وَالْوَفَاءِ عَلَيْهِمْ،

فَإِنَّ تَعَاهُدَكَ فِي السِّرِّ لِأُمُورِهِمْ حَدُوءٌ

لَهُمْ عَلَى اسْتِعْمَالِ الْأَمَانَةِ، وَالرَّفْقِ



التوصيات

لكي نسهم فعلاً في بناء دول حضارية إنسانية، لا بد من توظيف الأنظمة والأفراد، والمؤسسات، ونقل قيم الفكر العلوي باب العلم والمعرفة للحضارة الإسلامية إلى الآخر وبهذا نوصي:

١. صياغة أفق تواصل بناء كفيل بضمان دائرة حضارية وثقافية إنسانية، وتقديم خطاب معرفي إنساني، منبثق من نهج البلاغة.
٢. ضرورة وجود مادة علمية تتعلق بموضوعات نهج البلاغة. وتكون ضمن البرامج التلفزيونية والمناهج الدراسية في الجامعات والمعاهد والكليات والمدارس.
٣. ضرورة إعداد مشروع بحثي مؤسسي ضخم يقوم على قراءة حضارية لنهج البلاغة؛ يسهم فيه المتخصصون كافة في العلوم النظرية والتطبيقية.

والصور المنشوثة عن المجتمع الإسلامي، نتيجة تراكمات الواقع المتردّي الذي تعيشه الأمة الإسلامية. إن الرصد المعرفي والعلمي الذي يبنّا عن طريقه بعض مؤشرات الإصلاح الإداري في نهج البلاغة، يحتاج إلى تلمس هذه المنهجية العلوية ونشرها، واستعمالها كحلّ للإشكالات الأساسية والأزمات التي تعيشها الأمة الإسلامية، التي عجزت عن تفعيل تراثها الثقافي لجهلها بقيمها الحضارية وذلك يعود إلى:

- قلة الكتابات والأبحاث التي تتحدث عن الجوانب الإنسانية والحضارية في الفكر الإسلامي.
- تشويه صورة الإسلام الحقيقية.
- التأثير بالسلطات الحاكمة والاتجاهات الحزبية والعصبية.
- ابتعاد المنهجية عن التراث الديني لأمة ممتدة، في الزمان والمكان.

الهوامش:

- (١٧) المصدر نفسه.
- (١٨) المصدر نفسه ك/ ٥٣.
- (١٩) المصدر نفسه، ك/ ٥٣.
- (٢٠) المصدر نفسه، ك/ ٥٣.
- (٢١) المصدر نفسه، ك/ ٥٣.
- (٢٢) المصدر نفسه، ك/ ٥٣.
- (٢٣) المصدر نفسه، ك/ ٦٧.
- (٢٤) المصدر نفسه، ك/ ٥٣.
- (٢٥) المصدر نفسه.
- (٢٦) المصدر نفسه، ك/ ٥٣.
- (٢٧) المصدر نفسه، ك/ ٥٣.
- (٢٨) محمد مهدي شمس الدين، عهد الأشر، ص ٤٨.
- (٢٩) نهج البلاغة، ك/ ٥٣.
- (٣٠) المصدر نفسه، ص ٤٤٢.
- (٣١) الحرائي، تحف العقول، ص ١٢٦، النعمان، دعائم الإسلام، ص ٣٥٠، النويري، نهاية الإرب، ج/ ٦، ص ١٩.
- (٣٢) نهج البلاغة، ك/ ٥٣.
- (٣٣) نهج البلاغة، ك/ ٥٣.
- (٣٤) المصدر نفسه، ح ٥٤.
- (٣٥) المصدر نفسه، ح ٢١١.
- (٣٦) المصدر نفسه، خ ٢١٦.
- (٣٧) المصدر نفسه، ك/ ٥٣.
- (٣٨) نهج البلاغة ك/ ٥٣.
- (٣٩) المصدر نفسه، ك/ ٥٣.
- (٤٠) المصدر نفسه، ك/ ٥٣.
- (٤١) المصدر نفسه، ك/ ٥٣.
- (١) عبد الرحمان، تيشوري، التنمية الإدارية والإصلاح الإداري، الحوار المتمدن، العدد ١٤٢١.
- (2) Donald. J. Clough, concepts in Management. Science prentice hall, India 1968, p 27.
- (٣) والدو داويت، دراسة الإدارة العامة، ص ٢٢. القاهرة ١٩٨٢.
- (٤) عبد الوهاب علي محمد، مقدمة في الإدارة، ص ١٢. معهد الإدارة العامة ١٩٨٢.
- (٥) الطبري: محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، ج ٣، ص ٤٥٠، مؤسسة الأعلمي، ط ٥، ١٩٨٩، بيروت. ٣/ ٣٠١.
- (٦) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مؤسسة التاريخ العربي، ط ١، ١٩٨٩م، بيروت. ٢/ ٢٢٣.
- (٧) نهج البلاغة: خ ٩٢.
- (٨) المصدر نفسه، ك ٥٤.
- (٩) المصدر نفسه، خ ٩٢.
- (١٠) نهج البلاغة، خ ١٣١. ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ص ١٢٠. النعمان، دعائم الإسلام، ص ٥٣١.
- (١١) نهج البلاغة، ك ٥٣. النويري، نهاية الإرب، ج/ ١٩.
- (١٢) محمد علي محمد، دراسات في علم الاجتماع السياسي، ص ٢٢٥. (الإسكندرية، ١٩٧٥).
- (١٣) نهج البلاغة، ك ٥٣.
- (١٤) المصدر نفسه، ك ٥٨.
- (١٥) المصدر نفسه، ك ٥٣.
- (١٦) المصدر نفسه، ك ٥٣.

